هاتف من الحرب ...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

أغنّي وبابُكَ لا شدْوٌ ولا طربُ ... وجفّ حانُكَ لا كأسٌ ولا عنبُ

وزفّت الريح، هل زفّ النشيد لها ... أم ظلّ سأمان هذا اليائس التعب

هذا الذي اهتزّت الدنيا، وعازفُه ... ساهٍ على ضفّة الأحلام مُكتئب

نَشوانُ يمرح في دُنيا محلّقةٍ ... من الخيال ترامتْ دونها الشُّهُب

هزّ الطموحُ جناحيه وأتعبَه ... أنّ الطريقَ إلى الآفاق مُضطرب

وأنّ أيامَه من طول ما رَتَعتْ ... بها النوائب أدمى ظفرَها العطب

تندو الجراحُ مدلّاتٍ بشِقوتها ... ما دام فيها لأمجاد العُلا نَسَب

وجرحه راعشُ الآهات تحسبه ... هَشيمةً جُنّ في تحريقها اللهب

ناشدتُ لوْعتَه السُّلوانَ فامتعضتْ ... كيف الهدوء وأنفاس الورَى تجِبُ[1]؟

والأرض موقدُ أعمار قد اشتعلتْ ... في جمْره الناسُ لا الأعوادُ والحطب

كأنها رأسُ مجنونٍ قد احتدمتْ ... به الهواجسُ واستشرى به الغضب

ترتجُّ في راحة الطاغي كمجمرةٍ ... تحت القتام طوت أحلامها الكرَب

عَلا دُخانُ المنايا في سماوتها ... فزُلزلتْ رَهبةً من هوْله السحب

وكُبكِب الناسُ للميدان لا فَرَقٌ ... من الحِمام، ولا خوفٌ، ولا رَهَب

كأنما سئموا الدُّنيا وبهجتَها ... فراحَ يُغريهمُ للفتكة الهرب

الأرضُ أمٌّ رءومٌ ما جفت ولداً ... ولا تقطّع مِنْ أرحامِها سَبب

تُقيتُ جائعَها حيًّا وتشربُه ... وما تضنُّ بسترِ الهالكِ التُّرب

فما لهمْ مزّقوا أوصالَها طمعاً ... وناهشوا الوحشَ في الآطام واحتربوا؟

ودوّخوا كلَّ سَجواء الظِّلال بها ... وكلَّ عَزلاء فيها السيفُ مُغترب!

وكلَّ ناسكةِ الكفّين في يدها ... غصنُ السلام يتيمُ العود مرتهب!

وكلَّ شلاّءَ في الطُّغيان، باطشةٍ ... في الخير في يدها الريحانُ والقُضُب!

زيتونةُ السِّلم خلّوها مُعفّرةً ... دمُ الضحايا عليها هاطلٌ سكِب

نوْحُ الليالي، وإعوالُ السنين على ... ترابها جوْقةٌ خرساءُ تنتحب

وللشكالى نشيجٌ ردّدتْ حُرُقَتَه ... في كلّ بيتٍ تداعى مضجعٌ خرِب

وللأجنّةِ همسٌ حول مصرعها ... كأفرخٍ فَتّ في أكبادها اللهب

قد أعجلتْها يدُ الفتّاك مولِدَها ... فعمرُها قصةٌ فوْق الثرى تجِب!

هزّ الصّباح لها مَهْداً، وأرضعَها ... قطرَ النّدى، وكساها ضوءُه القشِب

وفي الضحى نشقتْ آجالُها ... وغدتْ ... عُمراً حديثُ الأمسِ عن أمسِه كذب

ميدانُ حربٍ هُنا!؟ أم تلك مجزرةٌ ... دمُ الحضارةِ فيها راحَ يَنسكِبُ؟

في البر، في البحر، في صدر السماء وفي ... لُجّ الوحوش فيها النصر والغلب

أتتْ إلى غابِه الأشلاءَ صاغرةً ... فعافها ونجافى نَتْنها السَّغَب[1]

يا حانَ «عِزريل» إن الكرْم قد نضجت ... به القطوفُ وحيّا كأسَه العنب

قمْ أترع الدّنّ. أوْلا! فهْي مترعةٌ ... فاجلسْ خُطاكَ، عداها الأينُ والتعب

وادعُ النّدامى، وقل للظامئين: هنا ... نبعٌ من الموت بالأرواح يصطخب

هيّا اشربوها على نخبِ الطُّغاةِ فهُمْ ... من خمرِها في ليالي الحرب كم شربوا...

وكم تنادَى ضُحًى بالسِّلم عاهلُهم ... فما دجى الليلُ حتى راح ينقلب

وأرسل البغتةَ النّكراءَ صاعقةً ... تدِفُّ من نارها الأرزاءُ والنُّوَب

الناسُ منها أعاصيرٌ مُزمجِرةٌ ... يرتجُّ في يدها الفولاذ واللهب

والموتُ شاعرُ آجالٍ على فمه ... يتغى النشيدُ، ويَرثي نفسه القصب

قد جُنّ فارتجلَ الأعمارَ قافيةً ... مزمورُها من قلوب الناس منتهب

تُرى الحضارةُ تُكلى في مآتمِها ... ودمعُها من جِراح العصر مُنسرب!

* * *

يا قومَنا وتُرابُ «النيل» ضجّ بنا ... أما كفانا عليه اللهو واللعب!

أما كفانا كرًى في جنّةٍ سجدت ... لها العصورُ وأحنت رأسها الحِقب!

وجاسَ (هاروت) يوماً في ظلائلها ... فردّه سحرُها حيران يرتعب

(١) تخفق من الوجيب

(١) الجوع

تبكي الرُّقى بين كتبٍ تمائمها ... بكاء راجي الأماني خائب الطلب
وكيف والسحرُ في أعتابها رصدٌ ... وحسنُها بشعاع السحر منتقب
هذي المحاريب كم ربت دفائنها ... فأقسمت أرضها لن ترفع الحجب!
قد ختمت سرها الأقدار فانطلقت ... من راح من فمها للسر يرتقب
وكم تحطم جبارٌ على يدها ... ودك باغٍ قوى البطش منتصب
شطآنها الخضر ألواحٌ مقدسة ... تنزيلها عجزت عن حمله الكتب
سمراء، مسكية الأغراس طاهرة ... وفيةٌ ما دنت من عهدها الريب
كانت مصلى جبين الدهر في زمن ... ملت ترابيته الأصنام والنصب
والناس من نزق الفوضى وظلمتها
ماجوا من الجهل كالقطمان واضطربوا
كنا لهم قبساً (فرعون) أشعله ... كيما تضيء به للعالم الشهب
لولا شعاع سرى من مهدنا لغدت ... أجيالهم في ظلام الفكر تحتجب!
والنخل فيها كفرسان على كثب ... ترنح النصر فيهم بعد ما غلبوا
ترجلوا، وشأت أعلامهم، ومضت
رءوسهم بفروع الغار تعتصب
إن هزها الريح خلت الجيش صاح به
من بوق «رمسيس» صوت صاخب لجب
وإن سجت قلت عباد قد ابتهلوا ... في معبد حفه الإجلال والرهب
والنيل جبار آباد كم احتضرت ... بشاطئيه سنون واختفت حقب
الأسيوطيون حجوا فوق صفحته ... وأنسيت مهدها في ظله العرب
وأقبل الغرب أرسالاً متيمة ... كأنما علقت في زرعه الشلب
أمواجه هتفت بالناس: من زبدي ... ومن رشاش هديري ينبت الذهب
دعوا النعام وشوق الموعدين به ... فلجتي من سفوح الخلد تنسكب
كلت بأرضي خطا الأيام من سفر ... ماس خطوى به يأس ولا تعب
علا وقار الندى كفي فما افتخرت ... على الغزير بما تعطي وما تهب
تسيت كل غريب أهله، فغدا ... من ذاقني مرة للنيل ينتسب!
ياشعب (مصر) وعظت اليوم فاستمعوا
فإنني لكم يوم الفخار أب!
خلقت من أرضكم للشمس رابية ... عطر الخلود بها ريان منسكب
النور فوق مجانيها وأغصنها ... متيم شغفه الإغراد والطرب
وحامل الفأس يسقيها حشاشته ... وحظه من جناها البؤس والوصب
من عهد آدم يرعاها... وشقوته ... دمع السواقي لها غضبان ينتحب
الأسمر الفانح المسكين تحسبه ... في الكوخ بين حماه والبلى نسب
مروا به مثلما مر النسيم بكم ... فالكم بسوى أجداده حسب!
وأنقذوا مصر من خلف يكابده ... جناتها من صراع القوم يلتهب
كونوا لها سيف أبطال على فمهم ... نشيد مجد بلحن النار يلتهب
فاردها هاتف للحرب أو رجفت ... من بوقها نذر بالشر تقترب
هبوا حتوفاً رطيروا أنسراً وثبوا
سواعقاً بالمنايا الحمر تصطخب
وفي دمى النغم الجبار يلهمكم ... شجواً تعانق فيه السحر والطرب
والشعر دنيا من الإعجاز ساكنة
لولا الأسى رقرقت أنغامها الشهب!

أنوار...

[مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب]

للدكتور إبراهيم ناجي

طابت بك الأيام وافرحتاه ... أنت الأماني والغنى والحياه!
قد وجد الضليل نور الهدى ... يا حلمه يا نجمه يا سماه!
فليذهب الليل، غفرنا له ... ما دام هذا الصبح عقبى دجاه
جمالك الطاهر عندي له ... إيمان قلب في خشوع الصلاه
ولي إلى ذاك الجلال اتجاه ... ولي بسلطانك عز وجاه!
قد طرق الباب فتى متعب ... طال به السير وكلت خطاه
تنقل في الأيام أقدامه ... يبغي خيالاً ماثلاً في مناه
عندك قد حط رحال المنى ... وفي حمى حسنك ألقى عصاه
أين شقاء صاخب في دمي ... جرعني الضنك إلى منتهاه
له إذا دوى به ساخراً ... ضحك التشفي وجنون الطغاه
شكراً لذات هبطت من علٍ ... تحدت النحس فشلت يداه
بأي كف طمنت قلبه ... فات في قلبي حتى صداه!
قد هدأ الليل وران الكرى ... إلا أخا سهد يغني شجاه
ناداك من أقصى الربى فاسمعي ... لمن على طول الليالي نداه
نادى أليفاً نام عن شجوه ... عذب تجنيه عزيز جناه
أحبك الحب وغنى به ... عف الأماني والهوى والشفاه
وإنما الحب حديث المنى ... أنشودة الخلد ونحن الرواه

ناجي